منهجية تجديد الخطاب الصوفي وآلياته

د. نادية خميس -جامعة باتنة -1- الجزائر

الملخص:

تسعى هذه المقاربة التي نريد استجلاء أوصافها، التعرض بالتحليل لراهن الخطاب الصوفي الذي تتجاذبه دعاوى التنظير والتسليك من جهة ودعوى التغييب والإقصاء من جهة أخرى.

إن إشكالية عدم الفهم لهذا الخطاب نجدها تنبعث من تلك القراءات المغيّبة لوعيه الشمولي؛ وعي لا يفقهه إلامن استوعب ملامح الائتلاف في بنيته العميقة الملتحفة بالبنى السطحية ومظاهر اختلافها. فكان لهذا الوعي / الرؤية أن مكّن الخطاب من التملص عما هو سائد من نظم فكرية بمنهج تأويلي يتسلح بآليات منتجة تقوم على أساسيات الفهم / الفعل / الحضور؛ حضور فعل المشاهدة كرؤية جوهرية إحيائية يتحقق بها إنسان الحاضر والحضور.. وهنا تكون معالم التجديد في هذا الخطاب.

Abstract

This approach that we want to clarify its description seeks to analyze the mystic discourse, which is beset by the calls of theorizing on the one hand and the calls of absence and exclusion on the other hand. The problem of lack of understanding of this discourse comes out from the excluding readings of its comprehensive consciousness which is grasped only by those who understand its features of the coalition in the deep structure which is covered with surface structures with its features of disagreement. This consciousness/vision enabled the discourse to get rid of the prevailing intellectual trends which support the interpretive approach. This approach is equipped with productive mechanisms based on the principles of comprehension, action, and the presence of the witnessing act that is substantial and resuscitative vision by which a human of the present and the presence

is realized…and here exists the landmarks of renewal in this discourse.

طبيعة الخطاب:

التصوف مذهب فكري، وحركة أخلاقية استندت إلى خصوصية التجربة الروحية التي تبلورت في مجال تداولي ورؤية منهجية مؤسسة سمحت لها بالتأسيس والتقعيد لمعالم مذهب بقدر ما قوبل بالرفض، بقدر ما أثار ولا يزال يثير جدلا حول خطابه وآليات قراءته، وأسس تفعيله بغية بعث فكرة السير وفق أسسها المعرفية عند أرباب السير حيث الرحلة تكون من مدار المشاهدة إلى مدار الشهود.

تبعا لهذا، ستتأسس هذه المقاربة التي نريد استجلاء أوصافها التعرض بالتوصيف والتحليل لإشكالية راهن الخطاب الصوفي كواحد من الخطابات المؤسسة للخطاب الإسلامي في خضم راهننا المعيش الذيتتجاذبه خطابات/ مرجعياتأطرت كل واحدة منها بمنطلقات قطعية ألغت أو تجاوزت الخطابات الأخرى، بما لم يسمح بتحديد أسس التفكير المحقق لدرجة التوليف فيما بينها. وهو ما يدّعيه الخطاب الصوفي من حيث رؤيته الشمولية؛ رؤية لم تستوعب مقصدياتها، ولا مراميهاالرؤيوية المرتكزة على استنسال الدلالات الكثيرة من منظومة دوال (اصطلاحات) تغيّر في حركيتها من الداخل (المدلول) نحو الخارج (الدّال) ما يولّدإشكالات الفهم والتأويل، أي إشكالية التلقي والمنهج معا.

وعليه كيف سيتسنى لهذا الخطاب تأسيس دعوى إعادة الاستيعاب والفهم في ضوء المستجدات السوسيوثقافيةوالتطورات المنهجية والفكرية الحديثة ؟ ثم كيف يتسنى لنا بيان أوجه التعالق بين هذا الخطاب وخطابات ما بعد الحداثة بمنطلقاتها التفسيرية والتأويلية معا؟!.

2- الخطاب الصوفي مظاهره الشكلية وخصائصه المعنوية:

1-الخطاب الصوفي في مداره العرفاني:

تتعدد دلالات الخطاب في منظومتنا العربية حسب الحقل المعرفي الذي تؤسس له؛ إذ نجد نواته الدلالية الأولى تنبثق من الدلالة اللغوية المرتكزة على الإفهام ؛ إفهام من هو أهل للفهم[1].

والخطاب الصوفي فرع من فروع الخطاب الإسلامي العام الذي هو عبارة عن "مجموعة المقولات والتصورات والرؤى التي يطرحها علماء الدين والدعاة والمفكرون إزاء قضايا المجتمع، استنادا إلى الدين الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر"[2].فيكون بذلك وسيلة إفهام، ومنهجا تصاغ من خلاله الأفكار والآراء والمواقف التي يراد تبليغها.

إن المستقرئ للخطاب الصوفي يجده يتأسس في منهجيتهالتبليغية على " رؤية تربوية مدارهاإعادة الصياغة التربوية لشخصية المسلم، لتثبيت خطى سيره ومساره ببصيرةالمشاهدة الموصلة إلى مرتبة الشهود ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[3]وقوله عز وجل﴿**أَولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[4]، مرتبة جعلت للخطاب الصوفي سياقا مخصوصا حددت معالمه أساسيات النظرة التي انبثقت منها، ومعالم المنهج الذي استندت إليه،حيث التفت رؤيته حول ناظم التوحيد التي تتخذ من فكرة التعبّد رؤيتها﴿**وَمَا خَلَقْتُالْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[5]، بمنهج عرفاني يروم الأخذبالآفاق الواسعة لقدرات الإنسان في فعل التسخير بما يستحيي جوهر كينونته حيث التعبد/ التوحيد أصل الأصول،فيتحقق الخطاب ببعدي الرؤية وآليات تفعيلها أي وفق "جدلية الممارسة الفكرية ووقع الالتزاميها"[6].

غير أن الخطاب الصوفي وهو يتزيّا بمنظومته هذه التي ارتضاها فكرة ومنهجا جوبه – عبر تاريخه – بقراءات عديدة تناولته في جانبه الظاهري/

الشكلي دون إيلاء أهمية لرؤيته الباطنية العرفانية ما أوقعه تحت أحكام تعددت بين نظرة الإقصاء حينا ونظرة الاحتواء والتماهي حينا آخر.

ولعل لهذا الاختلاف ما يبررهمن منطلق ماهية الخطاب نفسه " فانتماء التصوف كفرع هام إلى حقل الدراسات الإسلامية من جهة، وكمفهوم لا يمثل علما خاصا،ولا يخضع لجانب نظري دون غيره،بل هو مفهوم يتسع لكثرة العلوم والتخصصات جعل منه خطابا تناصيا، تكمن هويته في سر اشتراكه بغيره، وقدرة امتصاصه له"[7]، بل لا نغالي إذا قلنا أنه تتسع دوائرهمن الخطاب الحصري الإسلامي إلى دوائر "خطاب أوسع جعلت منه محضنا لعدد من العلوم؛ فمن بعض الآراء الفلسفية التي ترى أنه وليد نظرية في الوجود والطبيعة والإنسان والمعرفة"[8]، إلى الدارس في المجال النفسي الذي يراه ظاهرة سيكولوجية تعنى "بالحالة النفسية للمتلقي في تربية مواقفه"[9]إلى الدارس الاجتماعي الذي يراه محضنا معبّرا عن مجتمع مخصوص يتميّز بعلاقات اجتماعية تحكمه قواعد التصوف، وبيان أثر هذه القواعد في المواقف الجمعية"[10]، فالأديب الذي يحاول أن يفعّل خطابه بإخراجه من خصوصيته الرمزية بنقله من السميولوجي إلى الإبستمولوجي أي من العرفاني إلى المعرفي...ما جعل منه خطابا ما يلبث أن يتسع استيعابا إلا ليضيقاعتراضا/ نقدا من هذه الحقول المعرفية نفسها!.

وهو ما يستوجب الكشف عن ماهية هذا الخطاب المتفلّت حينا بين ثنائيةرفض/ قبول، أو المتلبّس حينا بين ظاهر/ باطن، حتى يتسنى لهذا الخطاب المتنوع ، الممثل، المنفتح...، تجديد تفعيل دوره في راهن الثقافة المعاصرة، وإمدادها بخصوصيته التأنيسية ذات النظرة الوثوقية المكتنزة لفكرة التخلق الحي بمنهج مؤطر يجيب إجابة يقينية عن أسئلة تشكّل مفاتيح أساسية لتحقق الإنسان بإنسانيته، لا يكون السلطان – والقول لطه عبد الرحمن –للوغوس (أي العقل) وإنما للإيتوس (أي الخلق)، بحيث تتحدد فيها

حقيقة الإنسان لا بعقله وقوله، وإنما بخلقه وفعله، فلا مناص إذن من أن نهيّء الإنسان لحضارة الإيتوس متى أردنا أن يصلح في العاجل ويفلح في الآجل[11].

فيكون الخطاب بهذا قد أفلح في الخروج بالفهم من عالم التصور إلى عالم التحقق، أين ستنفتح آفاق إدراكية وعملية تصحح الفهم، وتقوّم السلوك؛ " إن تأصيلا فترده إلى الأصول، أو تصويبا فتدله على أصح المقاصد أو تقويما فتمده بأنفع الوسائل"[12]، فيكون خطابا بنائيا تأنيسيا ، يدفع العصر نحو قناعة النظرة الناقدة الممحصة بين قيم التخلي وقيم التحلي قناعة، ومآلا إلى قيم التجلي (مرحلة الشهود) كمعطى تسليكي تحقيقي، اشتغل عليه الخطاب رؤية ودعوة.

2-سمات الخطاب وآلياته :

يتسم الخطاب الصوفي بجملة من المميزات التي تجعل منه خطابا تواصليا في المقام الأول رغم خصوصيته...، ويمكن إيجاز أهم هذه السمات بآلياتها فيما يلي:

أ-وحدة الخطاب وأحادية المقصد:

تعرض الخطاب الصوفي زمنا غير قصير إلى نقد إقصائي أبعده عن مركز الخطابات التواصلية، وكان ذلك نتيجة حكم شاع عن لغته من حيث عدم قدرتها على إحداث الفهم بين من هم مدركون لهذا الخطاب متحققون به، وبين من هم خارج هذا الإدراك قابعين داخل وعيهم الفرقي الحاجب.

وإذا حاولنا تفسير إشكالية عدم الفهم/التواصل نجدها تنبعث بدءا من تلك القراءات التجزيئية لهذا الخطاب اللامدركة لوعيه الشمولي، مما جعل نصوص هذا الخطاب تظهر من خلال هذه الممارسة القرائية (التجزيئية) في مظهر بنيات سطحية لا رابط بينها، وهو خلاف منطلقات الخطاب الصوفي المستند إلى ثنائية (الاختلاف/ الائتلاف)بين نصوصه، إذ تحيل الواحدة منها

على جملة الخطاب الذي صدرت عنه مشكلة في تعدادها مظهر اختلاف مبطن للائتلاف،ببني سطحية عامة نابعة من بنية عميقة واحدة يقرأ على ضوئها الخطاب الصوفي عامة، لـــ" تظل وحدة مراد الصوفية دليلا على وحدة الوعي الذي نتج عنه هذا المراد، ودليلا على وحدة التجزئة التي نتج عنها هذا الوعي، ودليلا على وحدة البنية العميقة المتعدّدة لنصوص الصوفية"[12]، فيكون الخطاب بذلك مؤسسا وفق نظام بنائي يحتكم إلى مجموعة من العلاقات الاختلافية/ الائتلافيةتبدي اختلافا ظاهريا بحسب سماتها الفرعية، إلا أنها تأسس لنمط قرائي يحقق الوحدة عبر التعدد، والإئتلاف مقصدا وغاية لوجوه الاختلاف.

ب-خطاب الظاهر والباطن:

حرص الخطاب الصوفي على فكرة التكامل بين الظاهر والباطن "بإقامة الشعائر والمناسك الظاهرة، ومراقبة الخواطر والمشاهد الباطنة.. وهذا ما يجعل المسلم سائرا إلى ربه سيرا صحيحا موافقا للمطلوب منه ظاهرا أو باطنا بحيث يتوازن كمال الهيئات الظاهرة مع جمال الكيفيات الباطنة، بمراعاة تامة لفقهي الظاهر والباطن وأعمال القلوب تزكية وإحسانا"[13].

والتحقق بالتلازم بين الظاهر والباطن لا يتأتى إلا عبر تجربة روحية قائمة على ثنائية (المقام، الأحوال) في "رحلة يقطعها العبد نحو ربه، يفي خلالها بما عليه ومرحلة يقبل فيها الله على عبده يهبه ما له من الجزاء والقرب"[14].

إن فكرة التوازن بين الظاهر والباطن تكسب الخطاب بعدا قيميا، يثمر تواصلا تفاعليا من شأنه أن يجدد الطريق الموصل لمعرفة المولى عز وجل، يقول عبد الله السكندري:"**وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به فجل ربنا أن يتصل به شيء، أو يتصل هو بشيء**"[15]، فيكتسب الخطاب المؤسس على

التجربة الروحية بعدا إجرائيا ينفتح على القراءة والفهم، بالقدر الذي تنفتح عليه التجربة ممارسة وسلوكا.

فيتأسس (الخطاب/ التجربة) لوعي يتم بموجبه تحوير الفكر إلى أداء، فترجمة هذا الأداء إلى بنية فهم، ما يجعل المتلقي لهذا الخطاب مشاركا ومؤديا لا مراقبا منفصلا.

ج- أساسيات المنهج:

استند الخطاب الصوفي إلى مجموعة مفاهيم ومبادئ مؤسسة لفكرة المضمون المحقق لوسطية النظرة بآليات منتجة تتفاعل وفق مقصدية حركية تسعى إلى التحقق بالفاعلية، ما يجعل منه مشروعا حركيا إحيائيا بقدر ما يحرص على فكرة التزكية بقدر ما يفعّل آلياتها قصد الوصول إلى كمال الأعمال والأخلاق بفعل إنتاجي يؤتي أكله بقدر التفاعل معه تأويلا وتفعيله واقعا.

وهذا المنهج ليس بدعا في هذا الخطاب، إذ نجد له أمارات -مع فارق المقصدية-عند ستاليني فيش، والذي أطلق عليه " الفن الحركي"؛ ويتلخص طرحه في قوله " إن الميزة الكبيرة للفن الحركي تكمن في كونها ترغمك على إدراكه كشيء يتغيّر، وبالتالي فهو ليس شيئا ساكنا، كما ترغمك على إدراك نفسك تتغيّر، بالمقابل لا يسمح الفن الحركي لنفسه بتأويل جامد لأنه لا يقبل الجمود، ولا يسمح لك بأن تبقى جامدا أنت أيضا" [16].

والسير بالآليات المنتجة في مسار تفعيلي مرتهن في هذا الخطاب ببلاغة الارتداد نحو المصادر التأصيلية، وبلاغة الامتداد نحو الواقع المعيش، بتفاعل متزن جمع فيه الخطاب بين فاعلية النظرة وتفعيلها بوضعها في حاق مواضعها، وتدبيرها على ما ينبغي لها، وهي دلالة الجمع بين الخطاب والحكمة التي ثمنها الخطابالقرآني في معرض مدحه لسيدنا داوود – عليه السلام – في قوله عز وجل ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ* إِنَّاسَخَّرْنَا**

الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ* وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ* وَشَدَدْنَامُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[17]، ففي الجمع بين الخطاب والحكمة تأكيد على الدلالة السامية للخطاب على اعتبار أن فصل الخطاب لا يتم على الوجه الأفضل إلا إذا اقترن بالحكمة وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمها[18].

3- معالم التجديد:

تبين من خلال السمات المؤسسة للخطاب الصوفي معالم منهج يجمع بين عمق الرؤية ووقع الالتزام الفعلي بها، غير أنه خطاب جوبه بالرفض عند كثير من الدوائر الفكرية ما جعل أرباب التصوف أو المنافحين عن فكرة البحث عن الطرح البديل الذي من شأنه أن يقلص من هوة الاختلاف بين هذا الخطاب ومنتقديه.

ويمكن استقراء معالم التجديد على مستوى صياغة هذا الفكر بدءا بما وصفت به اللغة الصوفية من تقعيد وتقعّر جعل خطابها خطابا خارج مدار التواصل المثمر للفهم والإفهام، وسبب ذلك يرجع إلى خصوصية الخطاب نفسه، والتي عبّر عنها القشري بقوله " اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفردوا بها عمن سواهمتواطؤوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين لها... وهذه الطائفة مستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والسترعلى من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها"[19]، ثم ما ورثته هذه الفكرة/ المسلّمة عند المتلقي الذي أصبح ينظر إلى هذا الخطاب نظرة قطيعة...، ولما كان الأمر كذلك أصبح من اللازم على هذا الخطاب أن يجدد لغته ليتحقق بمعالم خطاب تعارفي يحمل من سمات التواصل المحققة للتآلف، ولا يكون ذلك إلا بـ:

1- تبسيط المصطلحات وتحيينها:

تأرجح الصوفي في مقاماته بين القبض والبسط، البوح والستر..، جعل لغة خطابه تتزيابالسياقات المتموضعة فيها عبارة أو إشارة. إن مأزق الخطاب الصوفي يكمن في نظر عدد من منتقديه في لغته التي لم تسعف العبارة فيها مدارج الرؤيا، ما يجعلها رؤية/ عبارة ممتنعة "كلّما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"[20]، هذه المقولة الخالدة التي بقدر ما ترجمت عن خصوصية التجربة، بقدر ما عكست تعالي هذا الخطاب عن التنزيلات، لذلك أصبح لزاما على هذا الخطاب حتى يخرج من دائرة المغضوب عليه، أن يكون من أولوياته العمل على تذليل مفاهيمه واصطلاحاته، ذلك لأن " الاصطلاحات كانعكاس للجوهر الحضاري، ليست سوى منظومة فكرية يفترض فيها الانسجام والتكامل، يعبّر من خلالها عن رؤية للواقع والوقائع من خلال اللغة، وطريقة التعبير تؤثر بدورها في الرؤية"[21].

إن تحرر مضامين المصطلحات الصوفية وتقريب دلالتها بما يتماشى والمقصدية التواصلية خطوة أساسية لأي تفعيل معاصر للخطاب الصوفي، وتعطيل هذه الخطوة ستجعل هذا الخطاب بمثابة النبات المندرج المنبت في بذره، لا نما فأينع، ولا هو أثمر فنفع!.

2- لعل ما يترتب عن الدعوى السابقة، دعوةلاستقراء مواطن المسكوت عنه في المعرفة الصوفية اتساقا مع معرفيات الفكر عموما والرؤية الغربية المهيمنة بشكل أخص؛ وهما معرفتان بقدر ما تظهر معالم التدابر بينهما بقدر ما يكشف البحث المتأني عن منحى تواصلي بينهما على مستوى الرؤية، من خلال التوظيف المشترك لآليات الحفر في الجذور، ومحاولة تفكيك النظم

والمفاهيم، تمردا على النظرة/ الرؤية الشمولية المنمذجة التي قامت عليها الأنساق المعرفية الحديثة، مع فارق – بلا جدال –في مآلات هذا الحفر عند الطرفين؛ حيث المآل تواصلي ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[22]، فيما كان مآل الرؤية الغربية انقطاعيا نتيجة غياب المرجع عندهم أو على أقل تقدير اضطرابه، يقول عبد الوهاب المسيري " حينما يزداد كمون المرجعية، وتتجلى في كل المخلوقات، فإن المرجعية ذاتها تختفي"[23].

إن الدعوة لإعادة استقراء المعرفة الصوفية هو دعوة لتلك الدعوة المبطنة التي ترفض الثبات والتنكر للحدود والنهايات، وهي معالم طريق وحدة الشهود الناظم للعلاقة التواصلية بين الذات الشاهدة/ الكاشفة/ العارفة والوجود حيث الفهم/ التأويل/ الحضور؛ حضور فعل المشاهدة كرؤية جوهرية إحيائية، وهو منزع فطري تأصيلي في الفكر الإنساني عامة، والذي يشجب فكرة التقيّد والجمود، ويسعى دوما لمطالب التجديد والاستمرار.

وعليه فقدرة الجمع بين التبسيط المفاهيمي، والتبصر الرؤيوي من شأنه أن يعطي تصورا أكثر فاعلية للخطاب الصوفي، مع مراعاة فقه الزمان والمكان المحتكم إليهما هذا الخطاب من غير إفراط ولا تفريط.

الهوامش:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مج 12، مادة (خطب).
2- محمد يونس، تجديد الخطاب الإسلامي، الدار العربية للكتب، القاهرة ط : 1، 2013، ص 21.
3- سورة البقرة الآية 115.
4- سورة فصلت الآية 56.
5- عبد المجيد الصغير، التصوف كوعي وممارسة، دراسة في الفلسفة الصوفية عند أحمد عجيبة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب 1999 ، ص 65.
6- ينظر عبد الله بن عتو، مظاهرالإتساق في الخطاب الصوفي، قراءات في نصوص مغربية حديثة، مطبعة الأمنية، الرباط (دت)، ص 6.
7- عمار جندل، هل تغني المعرفة عن المكايدة في فهم التصوف، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، ع1، 2007، ص 113.
8- المرجع السابق، ص 118.

9- المرجع السابق، ص 111.
10- ينظر طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،ط 2، 2005، ص 146.
11- طه عبد الرحمن، العمل الديني تجديد العقل، المركزالمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،ط4 ، 2009، ص28.
12- حسن السمان، مستويات الوعي الصوفي عند ابن عجيبة العالم الشارح، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة، المغرب ع 91-92، أفريل 2012، ص 67.
13- عصام البشير، سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة دراسات إسلامية، ع 4 ماي 2008، ص 15.
14- مختار الفجاري، حفريات في التأويل الإسلامي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن ط1، 2007م.
15- ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ط2، 2010 ، ص 52.
16- ستاليني فيش، الأدب في القارئ- الأسلوبية العاطفية ، تر: الجيلالي الكدية، منشورات كلية الآداب، الرباط ،ضمن سلسة من قضايا التلقي والتأويل 1995، ص 39.
17- سورة ص الآيات 17-18-19-20.
18- عصام البشير، سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، ص 10.
19- أبو القاسم عبد الكريم القشري، الرسالة القشرية، دار الأمان ط1،2000م، ص38.
20- عبد الجبار النفري، كتاب الموافقات والمخاطبات، تح أرثر يوحنا أربري، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ص 51.
21- عصام البشير، سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، ، ص 26.
22- سورة البقرة 115.
23- عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود